الأطفال يسألون الإمام

فى الجزء الثانى من كتابه «الأطفال يسألون الإمام»، يجيب الإمام الأكبر د. أحمد الطيب شيخ الأزهر على تساؤلات للأطفال، قد يعجز كثير من الآباء عن الإجابة عنها بصورة دقيقة مقنعة نعرضها خلال هذا الشهر.

لماذا أبى فقير؟

يسأل أحد الأطفال: أحزن كثيرًا لأن أبى فقير ولا يستطيع أن يشترى لى أشياء أتمناها مثل الأطفال الآخرين؛ لذا أتساءل دائمًا: لماذا خلق الله بعضنا فقراء وبعضنا أغنياء؟

ويُجيبُ شيخ الأزهر بالقول: ابنى العزيز، التفاوت بين البشر أمر طبيعى، وهذا التَّفاوت قد يتخذ أشكالًا متنوعة، فهناك تفاوت فى الأعمار والأرزاقِ وتفاوت فى الفهم والعلم وغير ذلك، والله عزَّ وجلَّ له حكمة بالغة فى هذا التفاوت؛ وهى أن يشعر الإنسان باحتياجه إلى الله تعالى وكذلك إلى من حوله من البشر مهما كان مستواه الاجتماعى، وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك تعبيرًا بيانيًا عظيمًا فقال عز وجل: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} [الزخرف : ٣٢]. ولا تظن أن الفقير هو الذى يحتاج إلى الغنى فقط، بل الغنى أيضًا يحتاج إلى الفقير، على أنَّ مفهوم الفقر والغنى يحتاج إلى إعادة نظر، فليس الغنى مجرد كثرة المال فقط، كما أن الفقر ليس مجرد قلة المال فقط، يقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولَكِنَّ الغنى غنى النفس»، ويقدِّم شيخ الأزهر النصيحة للطفل بالقول: «أنصحك يا بنى بالقناعة وعدم النظر إلى ما فى يد غيرك، واعلم أن الأب والأم ينفقون ما هو أغلى من المال؛ فهم ينفقون أعمارهم ليوفروا لأولادهم ما ترجونه ولا يبخلون عليهم بشيء، وأذكرك بقوله تعالى: (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ) [طه : ١٣١].»

الكتاب فى القرآن

وما أدراك ما الكتاب؟

رحلتنا فى رمضان هذا العام، مع الكتاب، نرتحل معه، ويرتحل معنا، عبر سور القرآن الكريم، نبحث عن دلالات اللفظة فى الآيات التى وردت فيها. لنتدبر معنى الكلمة فى كل موضع، فتضيء لنا جوانب تتجاوز المعنى المتعارف عليه فى المعاجم، أو المراجع المتخصصة، كونه صحفا ضم بعضها إلى بعض، أو أنه أوراق مطبوعة ومجموعة فى مجلد، أو مشابهها من تعريفات.

ك.ت.ب حروف ثلاثة هى جذر كلمة كتاب، بناء لغوى بسيط، هكذا يبدو للوهلة الأولى، لكن بقدر من التأمل نجدها عظيمة الشأن، سامية المكانة والقيمة، ثم غنية باتساع دعائها، حين نرصد اشتمالها على مفاهيم عدة تشى بروعة البيان القرآنى وبلاغته.

لذا فإن الصيغة الاستفهامية التى نفتتح بها هذه السلسلة، تحتضن فى جوهرها ما يتجاوز الحدود المباشرة للسؤال، إلى محاولة الغوص إلى ما يقودنا إلى مزيد من المعرفة، تسليما تاما بعظمة الكتاب، لاسيما أن المسلم حين ينطق بالكلمة، أو يسمعها، أو يقرؤها فإن ذهنه ينصرف من فوره إلى القرآن الكريم تحديدا وحصرا.

ثمة محاولة تجمع فى طياتها تأملا عقليا، وتفاعلا وجدانيا، تحريا لدقة التعبير القرآنى وثرائه، بشأن كلمة واحدة، لنتيقن مدى عمق الدلالات فى كلمة كتاب، وهنا فإننا نحتذى بقوله تعالى: «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب».

عبر رحلتنا مع كلمة «كتاب» بتنوع دلالاتها، تسنح لنا إطلالة طيبة، لمزيد من استشراف ما يتميز به القرآن العظيم من فرادة، ليس فى كل آية من آياته، وإنما فى كل كلمة، بخصائص لا يدانيه أى نص شعرى أو نثرى، لأن لغة الكتاب العظيم المعجز، إن هى إلا لغة الوحى الإلهى، الفريد فى نمطه، فيدعو العقل للخشوع المطلق مرددا، ما أدراك ما الكتاب؟

■ علاء عبدالوهاب

فقه المرأة

■ هل يلزم المرأة غسل إذا أدخل إليها نطفة الرجل فى التلقيح الصناعي؟

تجيب عليه الواعظة أمانى دسوقى بقولها: المُسلِمُ بطبيعتِهِ طاهرٌ نقيٌّ من النَّجاسةِ، وطهارَتُهُ حالٌ دائمةٌ لا تنقضُها النَّجاسةُ إن أصابت بدنَهُ أو ثوبَه أو غير ذلك، وقد شرع الله الغسل للتأكيد على معنى النظافة والطهارة، فإنه سبحانه وتعالى يحب الطهارة والمتطهرين، وواجب على المسلمين إذا مات أحدهم أن يغسلوه. وأما ندباً، فلا يرتبط بحال، والصورة المسئول عنها من التلقيح الصناعى الداخلى، وفيها يتم أخذ نطفة الرجل وحقنها فى الموضع المناسب من رحم الزوجة لا يترتب على المرأة فيها غسل؛ لعدم حصول الإنزال منها.

ومجرد إدخال منى الرجل إلى رحمها، من غير جماع، لا يوجب غسلًا. قال النووى رحمه الله: «إذا استدخلت منيا فى قبلها أو دبرها: لم يلزمها الغسل». وينبغى أن يعلم أنه لا دخل لمنى المرأة فى تكون الجنين، وإنما يتكون الجنين من الحيوان المنوى للرجل وبويضة المرأة. والله أعلم.

المستشرق الألمانى الكبير «سباستيان جونتر»:

الفكر التربوى لعلماء المسلمين لا يزال يقدم دروسًا

«سباستيان جونتر» واحد من أهم المستشرقين المتخصصين فى الدراسات العربية والإسلامية فى الوقت الحاضر، وهو أستاذ كرسى الدراسات العربية والإسلامية بجامعة جوتنجن.. له اهتمام كبير بما يمكن تسميته بعلم التربية والتعليم وأساليب نقل المعارف عند علماء المسلمين الأوائل فى وقت لم يكن العالم يعرف فيه الكثيرمما يندرج تحت هذا العنوان.. يعتز «جونتر» بحصيلته الأكاديمية فى هذا المجال لدرجة قوله: إن الأثر الذى يريد أن يتركه من بعده هو كنز الأفكار والرؤى عن التربية والتعليم والتعلم، التى كتبها علماء الإسلام منذ صدر الإسلام وحتى العصر الذهبى للحضارة الإسلامية فى الدولتين الأموية والعباسية. يؤكد «جونتر» أن دراسة الفكر التربوى الإسلامى الكلاسيكى تقدم لنا دروسًا قيمة اليوم، لا سيما فى مجالات الانفتاح الفكرى وتبادل المعرفة عالميًا، وفى تطوير بيئات تعليمية أكثر شمولية وأخلاقية، كما تعلمنا أهمية الجمع بين الابتكار والعمق العلمى فى أساليب التدريس. يؤمن أن دراسة الفكر التربوى هو المفتاح الذى يسهم فى فهم الثقافات والحضارات والأديان المختلفة ولا سيما الإسلام، ويجزم بأن الغرب فى حاجة ماسة إلى دراسات نقدية محايدة ومنظمة لقيم الإسلام ومفاهيمه، خاصة ما يتعلق منها بالنظريات والفلسفات التى وضعها علماء المسلمون الأوائل.. سبق لجونتر زيارة مصر والقاهرة كثيرا وهو يعرف شوارعها وسبق له الدراسة والتدريس فيها. على هامش زيارة له للقاهرة التقيته لحوار استكملناه عبر البريد الالكترونى.

حوار- ضياء أبو الصفا

نتاج العقل المسلم يساعدنا فى تطوير بيئات تعليمية أكثر شمولية وأخلاقًا

■ حدثنا عن شغفك بعلم التربية والتعلم عند علماء المسلمين؟

كانت مناقشات التعليم والتعلم محورًا أساسيًا فى كتابات عربية واسعة النطاق من الفترة الكلاسيكية للإسلام، أى من القرن الثامن إلى الخامس عشر الميلادي. استكشف العلماء المسلمون الجوانب النظرية والعملية للتعليم، مستفيدين من تقاليد فكرية متنوعة. كان هؤلاء العلماء فلاسفة، وفقهاء، ومحدثين، وأدباء، وعلماء طبيعة، ينتمون إلى خلفيات وانتماءات مختلفة. وعلى الرغم من أن جميعهم مارسوا التدريس، إلا أن أياً منهم لم يعامله كمجال متخصص ومستقل. ما يجمع هذه النصوص العربية الكلاسيكية حول التعليم هو تأصيلها العميق فى المبادئ القرآنية والتقاليد النبوية (الحديث). وفى الوقت نفسه، تأثرت هذه النصوص بشكل كبير بالتقاليد التربوية اليونانية القديمة، وكذلك بالموروث العربى والفارسى والهندي. كما تطور الفكر التربوى الإسلامى فى تفاعل مستمر مع التقاليد اليهودية والمسيحية فى العصور الوسطى، من خلال عمليات تبادل متبادلة وتكييفات متميزة، خصوصًا بين القرنين الثامن والحادى عشر.

■ تتحدث دائمًا عن الجوانب الأخلاقية فى كتابات علماء المسلمين الأوائل وما يمكن تسميته بآداب العالم والمتعلم؟

من بين أهم الأنواع الأدبية الكلاسيكية التى تناولت التعليم بوضوح، نجد كتب آداب العالم والمتعلم، وهى نصوص تعالج السلوك الأخلاقى والفكرى للمعلمين والطلاب. تتراوح هذه الأعمال من رسائل موجزة إلى موسوعات شاملة، تناقش أهداف التعليم ومثله وأساليبه.. تحدد هذه النصوص أدوار ومسئوليات المعلمين والطلاب، وتشدد على الفضائل الأخلاقية والفكرية، كما تتناول الديناميكيات التى تحكم العلاقة بينهما. كما أنها تعالج قضايا تعليمية رئيسية، مثل تصميم المناهج، وأساليب التدريس، ونقل المعرفة. ورغم أن الإسلام الكلاسيكى لم يطور تخصصًا أكاديميًا مستقلاً تحت مسمى علم التربية، إلا أن العديد من هذه الكتابات تحمل طابعًا تربويًا واضحًا.

ابن المقفع والجاحظ

هناك نماذج من العلماء المسلمين الذين كان لهم تأثير بارز على الإنتاج المعرفى ونقل التعليم.. حدثنا عنهم.

نعم هناك ابن المقفع والجاحظ وإخوان الصفا وابن السُّنى الدينورى، لقد ترك كل واحد منهم بصمته فى الفكر التربوى الإسلامى، إما من خلال التأثير السلطوى لأعمالهم، أو من خلال أصالتهم الفكرية. إن كتاباتهم لا تقتصر على رسم معالم تطور التعليم فى الإسلام الكلاسيكى، بل تتفاعل أيضًا مع تحديات لا تزال ذات صلة بعالمنا اليوم. فالأسئلة التى طرحوها حول التعليم والتعلم لا تزال تلهم المناقشات التربوية المعاصرة، وتقدم رؤى تمتد إلى ما هو أبعد من سياقها التاريخي.

فابن المقفّع (ت. ١٣٩هـ/٧٥٦م) واسمه عبد الله بن المقفع، من البصرة، كان كاتبًا بارعًا ومترجمًا ومسئولًا إداريًا فى البلاط، ويُعد رائدًا فى النثر الأدبى العربي. عُرف بتقديمه المفاهيم الإنسانية للآداب إلى التقليد الفكرى العربى، كما لعب دورًا مهمًا فى نقل المعرفة المتأخرة من العصور القديمة إلى الثقافة العربية الإسلامية. وإلى جانب كتابه الشهير «كليلة ودمنة»، الذى يعتبر من روائع الأدب التعليمى، كتب ابن المقفع كتابه «الأدب الكبير»، وهو نص يعالج القواعد الأخلاقية للسلوك فى دوائر الحكم والمجتمع. يركز الكتاب على توجيه القادة السياسيين والمسئولين والوزراء، كما يتناول مسائل الأخلاق والعلاقات الإنسانية، ويؤكد على أهمية تكوين الشخصية كجزء أساسى من القيادة الناجحة. وشدد ابن المقفع على ضرورة أن يلجأ الحكام إلى العلماء وأهل الفضل لضمان قرارات حكيمة. كما أكد على أهمية القدوة الحسنة، وإدارة الوقت بحكمة، والحفاظ على التوازن بين المسئوليات والرفاهية الشخصية. وفى سياق النقاشات العلمية، نصح ابن المقفع المستمعين بتعلم حسن الإنصات كما يتعلمون حسن الحديث.

■ المستشرق الألمانى «سباستيان جونتر» مع محرر «الأخبار»

نحتاج دراسات نقدية محايدة ومنظمة لقيم الإسلام ومفاهيمه

إخوان الصفا

وهناك إخوان الصفا فى القرن الرابع الهجرى أصحاب «رسائل إخوان الصفا»، والتى قدمت رؤية شاملة للمعرفة مقسمة إلى علوم تمهيدية، وشرعية، وفلسفية. ركزت رسائلهم على التعليم الذاتى، حيث شجعوا الطلاب على تجاوز حدود الكتب المدرسية، واستكشاف المعرفة بحرية، وهو مفهوم ينسجم مع النظريات الحديثة حول التعلم الذاتي.

■ ما الذى يمكن استخلاصه من هذه النماذج؟

تُبرز هذه النماذج الفكرية كيف جمع العلماء المسلمون بين التعليم الدينى والفلسفى، معتمدين على مناهج متنوعة مثل: التوازن بين التفكير النقدى والحفظ، وتشجيع التعلم الذاتى، ودمج المعرفة عبر تخصصات متعددة. كما تلفتنا إلى أن أساس الرؤية التربوية الإسلامية موجود فى القرآن، حيث توجد آيات كثيرة تدعو لإعمال العقل، وتدعو إلى التعلم، تأمل الآية التالية: (ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) -سورة آل عمران الآية ٧٩-، وكلمة الربانى معناها المعلم، وهناك طبعًا الأحاديث النبوية الكثيرة فى هذا الشأن.

■ وهل يمكن الاستفادة مما طرحه من آراء آنذاك فى القرن الحادى والعشرين؟

لقد تناول هذا العالِم مشكلات فى القرن التاسع الميلادى، مازالت تشغل التربويين حتى اليوم، مثل المنهاج والاختبارات، وكيفية تعيين المعلم وتحديد راتبه، وما ينبغى للمعلم القيام به، وكيف يكون منصفًا بين طلابه، وطريقة حل خلافاتهم، هم يهتمون بالتفاصيل والجوانب المعنوية للعملية التعليمية.

■ هل يجهل الغرب هذه الإنجازات الإسلامية فى مجال التربية؟

الدراسات التربوية الغربية المعاصرة تميل إلى إغفال النظريات والفلسفات التى لم تنبثق من حضارة الغرب وثقافته، ولذلك فإنها تركز عادة على الأسس اليونانية والرومانية واليهودية والمسيحية للتاريخ التربوى، بينما لا تولى التراث التربوى للحضارات الأخرى اهتمامًا كافيًا.

معارك فى ذاكرة التاريخ

لم يكن القتال فى الإسلام أو المعارك التى خاضها المسلمون يومًا من الأيام بهدف الاعتداء على الغير، بل كان لرد العدوان الذى يتعرض له المسلمون، من خلال هذا الباب وعلى مدار أيام شهر رمضان المبارك نقدم لك عزيزى القارئ معركة فى ذاكرة التاريخ الإسلامى خاضها المسلمون دفاعا عن أنفسهم وعن دينهم وعن أرضهم.

«ملاذ كرد».. الطريق إلى القسطنطينية

تعد معركة «ملاذ كرد» التى حدثت بين المسلمين السلاجقة بقيادة السلطان «ألب أرسلان» وجيوش الدولة البيزنطية تحت قيادة الإمبراطور البيزنطى «رومانوس» الرابع عام ٤٦٣هـ/١٠٧١م من أيام المسلمين الخالدة التى غيرت وجه التاريخ وكان لها أثر كبير، حيث كانت مقدمة لضعف الدولة البيزنطية الأمر الذى انتهى بسقوطها عام ١٤٥٣م.

يقول الدكتور صلاح عبد المولى الشورى أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية، بجامعة الأزهر: لم تكن هذه المعركة اعتداءً من المسلمين بل كانت دفاعًا عن النفس، وذلك عندما خرج الإمبراطور «رومانوس» على رأس قواته مزهوا بكامل أبهته قاصدا بلاد المسلمين، فوصل إلى منطقة ملاذ كرد التى تقع حالياً داخل حدود ولاية موش شرق تركيا، واستباح سكانها من المسلمين، وقتل عددا كبيرا منهم فلم يسلم منه الشيوخ والنساء حتى الأطفال الذين قتلهم بدم بارد، وعندما وصلت هذه الأخبار للسلطان «ألب أرسلان»، ولم يكن مستعدًا لهذه المعركة ولهذا الجيش الكبير من البيزنطيين الذى وصل عدده فى بعض التقديرات إلى مائتى ألف بينما جيش أرسلان كان لا يتعدى ستة عشر ألف جندي، إلا أن «أرسلان» لم يتوان لحظة واحدة فى الدفاع عن المسلمين، فخرج بهذا الجيش القليل، وقد حاول السلطان السلجوقى حقن الدماء، فبادر قبل أن يشتبك الجيشان إلى طرح الهدنة والتفاهم مع البيزنطيين إلا أن «رومانوس» أبى واستكبر، وأجاب بأنه لا هدنة إلا بعد أن يفرض سيطرته على البلاد الإسلامية، وبعد قتال بين الطرفين استطاع جيش المسلمين هزيمة البيزنطيين حتى إن قائدهم «رومانوس» وقع أسيرًا، وعندما حضر أمام السلطان عنفه على أفعاله المشينة وغروره وصلفه ورفضه للتفاهم والهدنة التى عرضها عليه قبل المعركة، وإصراره على اجتياح بلاد المسلمين وإهانتهم، وقد حاور السلطان السلجوقى ذلك الإمبراطور المتغطرس ليقر ويعترف بالجزاء الذى يستحقه جراء أفعاله المنكرة، فأجاب صراحة بأنه يستحق أسوأ عقاب فعفا عنه إظهارًا لعظمة مبادئ الإسلام فى العفو عند المقدرة، والسماح بدل الانتقام، وصيانة كرامة الإنسان بدل إذلاله، واستبدال لغة الحرب بلغة السلام.

■ د. صلاح عبد المولى

■ حافظ محمدى

أنامل ذهبية

لوحة بخط الثلث للفنان الكبير مسعد خضير البورسعيدى نقيب الخطاطين والحارس الأمين على هذا الفن الشريف، اللوحة لقوله تعالى: (شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ القُرآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّناتٍ مِنَ الهُدَى وَالفُرْقانِ).. وإذا كان (خضير) عميد الخطاطين فإن (الثلث) عميد الخطوط العربية، ويتميز بصعوبته وفى الوقت نفسه مطاوعته للخطاط.. تبدأ اللوحة من الأسفل للأعلى ويلاحظ فيها التناسق والإحكام وحُسن توزيع الحروف داخل التكوين، مع تنويع أشكال الحروف المكررة بما يناسب التتكوين والشكل الجمالى، فنجد الراء الثعبانية فى كلمات (شهر، رمضان، القرآن، الفرقان) والراء المرسلة -الزاي- فى كلمة (أنزل)، وكذلك حرف النون الذى كُتب ثعبانيًا فى (القرآن، من) بينما كتبت النون العادية فى كلمتى (رمضان، الفرقان)، وأيضًا الياء كتبت مرة راجعة فى (الذى) ومرة كتبت عادية فى (هدى، الهدى)، ورصَّع الفنان لوحته بالحِلى والتشكيلات التى يتميز بها خط الثلث وذيَّلها بتوقيعه الشهير وسنة كتابة اللوحة.

■ حمدى حامد

كاتب وكتاب

أخلاقنا

كتاب «أخلاقنا»، للدكتور محمد ربيع محمد جوهرى، عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر، من إصدارات مجمع البحوث الإسلامية، كتبه مؤلفه كما يقول- وهو متأثر وما زال بأحوال أمتنا الإسلاميَّة، وما وصلت إليه من ضعف أخلاقي- لافتًا إلى إيمانه بأن علاج هذا الضعف إنما هو فى أهم جوانبه ب: (أخلاقنا) نحن المؤمنين، وكيف لا، وقد أمضى نبينا الذى وصفه ربه تعالى بقوله: «وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ» [القلم : ٤] أمضى من عمر الرسالة عشر سنين يربِّى المسلمين على: (العقيدة) وعلى (الأخلاق) فى مكة، فسادوا الدنيا، ونشروا هذه الأخلاق عمليا فى فتوحاتهم لنشر الإسلام، وتحرير المستضعفين المستذلين فى دولتى الفرس والروم، فأعجب بأخلاقهم أهل هذه الشعوب، فدخلوا فى دين الله أفواجًا؛ فساد العدل والسلام.

ويتساءل ربيع جوهري: كيف انتشر الإسلام فى جنوب شرق آسيا، وكيف انتشر فى أماكن عدة من إفريقيا، فهذه البقاع لم يذهب إليها جيوش إسلامية، لتفتحها، وتنشر فيها هذا الدين؟ كيف انتشر الإسلام وأضاء وأنجب هؤلاء الأبطال الأفذاذ؟ ليجيب بالقول: لقد انتشر الإسلام فيها عن طريق: «أخلاقنا» كما كان يعيشها أسلافنا، وكانت «أخلاقنا» هى العلاج لكل المفاسد التى كانت تملأ هذه البلاد آنذاك، تمامًا كما أنَّ أخلاقنا هى العلاج لكل هذه المفاسد التى تظهر فى واقعنا.

ويلفت المؤلف أنه قد قضى فترة من حياته فى دراسة وتدريس: «الأخلاق الفلسفية» فاطلع على عددٍ من كتبها، وعرف بعضًا من أعلامها، وأعجب حينًا بنظرياتها، ووفق أحيانًا لكشف زيفها، فلاحظ عليها أمورًا من ضمنها: أن القضايا الأخلاقيَّة التى يبحثها فلاسفة الأخلاق، لم تنقص ولم تتغير خلال التاريخ، فالمسائل التى كان يبحثها فلاسفة اليونان الأخلاقيون هى نفسها المسائل التى يبحثها فلاسفة الأخلاق المعاصرون فلا تقدم. وكذلك أنَّها أفكار نظرية ذهنية، مجال وجودها عقل صاحبها وفكره، فهذا حظُّها من الوجود، وليس لها من الواقع نصيب يذكر. وأن كل فيلسوف يحكم على نفسه بالحق والصواب، ويحكم على غيره بالجهل والحمق، والخطأ والغباء، بل قد يصل الأمر إلى الشتم والسباب. وأن كتب الفلسفة الأخلاقيَّة مؤلفات لخاصة البشر، الذين تمكنهم ثقافتهم من فهم أساليبها، وتساعدهم أذهانهم فى درك نظرياتها، فما أكثر ما يصعب المعنى، وما أكثر ما يغمض المراد! وأن فلاسفة الأخلاق -حتى الآن- لم يتفقوا على «مقياس أخلاقي» يَزِنون به الأخلاق، فليس هناك سبيل إلى «اليقين الأخلاقي». وأن الجفاف والتركيز على جانب العقل، وإهمال جانب الروح والعاطفة، والوجدان، وهذا الجانب الأخير قد يكون أكثر تأثيرًا فى سلوك الإنسان.

هذه الأسباب الستة وغيرها، دفعت المؤلف للجد فى البحث فى مجال الأخلاق، ليجد ما يقنع عقله، ويرضى قلبه، فتوجه إلى المصادر التى يدين بصحتها، وهى ذلك الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، وهذه السنة التى لا ينطق صاحبها عن الهوى صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فأخذ يقرأ القرآن الكريم، ويجمع آياته الأخلاقية، ويطالع السنة المطهرة، يجتنى من ثمارها الخلقية، ويقطف من أزهارها السلوكية فتجمع له من ذلك هذا الكتاب: «أخلاقنا». وشتَّان بين هذا المنهج، ونهج الأخلاق الفلسفية!

قسم المؤلف كتابه إلى قسمين رئيسين؛ القسم الأوَّل: فى الشَّقِّ النَّظَرِى، تعرض فيه لبيان أن الإسلام منبع أخلاقنا، وعرج على الأخلاق الفلسفية مبينًا قصورها عن تقديم المنهج الصحيح للأخلاق، ثم تحدث عن خصائص الأخلاق الإسلامية. أما القسم الثانى فقد خصصه للشق العملى، وذكر فيه جملة من الأخلاق الإسلامية؛ فتكلَّم عن الرحمة، والحياء، والعفة، والصدق والأمانة، والعدل، والحلم، والصبر، وهو فى كل أولئك يعرضها من خلال تناول القرآن الكريم، ومثالها التطبيقى من أخلاق النبى ﷺ.

حديث شريف

عن أبى هريرة، رضى الله عنه، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» (رواه البخارى ومسلم).

حكمة

قيل لابن مسعود رضى الله عنه: من ميت الأحياء؟ قال: الذى لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً.

قطوف

قال ابن رجب معلقا على هذه الرواية: «الأعمال كلها تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلا الصيام فإنه لا ينحصر تضعيفه فى هذا العدد، بل يضاعفه الله عز وجل أضعافا كثيرة بغير حصر عدد، فإن الصيام من الصبر، وقد قال الله تعالى: (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ).